# الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الأعشى

م.م. سهام حسن جواد
جامعة تكريت /كلية التربية
سامراء

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد شهد عصر ما قبل الإسلام نبوغ الشعراء الفحول الذين أثروا في نتاجهم الشعري ، وكانوا مرآة ناصعة لما يحيط بهم ، فكانت البداية الأولى لأكثر الفنون الأدبية في ذلك العصر، ويعد الأعشى ميمون بن قيس واحداً من شعراء هذا العصر بل عده بعض النقاد القدماء في طليعتهم . ذكر ابن سلام في طبقاته انه كان ( أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحاً وهجاءاً و فخراً ووصفاً ، كل ذلك عنده )) .[١]

ومن خلال قراءتي لديوانه استوقفتني ظاهرة بارزة في شعره هي كثرة استعماله لمفردة الصوت, فقمت باستقصاء مادة الصوت في شعره ثم وقفت على تحليل اللوحة الشعرية بصورها وإيحاءاتها المختلفة لان الصوت بفضاءاته الممتدة يحمل كثيرا من الدلالات التي ساعدت الشاعر في رفد خياله ، وهيأت له مجالا كبيرا لخلق الصور الشعرية المميزة .

وقد يلحظ قارىء البحث قلة عدد المصادر التي استعنت بها وذلك لأنّ جُل البحث يعتمد على الجهد الشخصي للباحثة إلى جانب قلة المصادر في هذا الميدان لجدة الموضوع وعدم تناوله في حدود علمي .

جاءت مادة البحث مقسمة على ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد تضمن :

- نسبه وحياته ومكانته .
- تناول المبحث الأول : الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الغزل عند الأعشى .
- أما المبحث الثاني : فقد خصص لدراسة الصوت ودلالته في شعر الحرب عند الأعشى .
- أما المبحث الثالث: فقد افرد لدراسة الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الطبيعة عند الأعشى .

- وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث وكان ذلك في ضمن الخاتمة.

**التمهيد**

**نسبه وحياته :**

هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شرحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن الحصن بن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل [٢] وغلب عليه لقب الأعشى ، والأعشى في اللغة هو الذي يبصر في النهار ولا يبصر في الليل وقد فسره بعض اللغويين بضعف البصر وفسره آخرون بالعمى [٣] ، والتفسير الأول أشهر ، ومن اجل ذلك كان يكنى بابي بصير .

والملقبون بالأعشى من الشعراء كثير ، أحصى منهم الآمدي في ( المؤتلف والمختلف) سبعة عشرة شاعرا بين جاهلي وإسلامي وهم يميزون بنسبتهم لقبائلهم فيقال : أعشى همدان وأعشى تغلب وهكذا [٤]. وأشهر هؤلاء جميعا شاعرنا أعشى بني قيس بن ثعلبة. ولم يحفظ لنا التاريخ شيئا عن نشأة الشاعر الأولى , وجل ما نعرفه عنه انه نشأ راوية لخاله المسيب بن علس ، وانه ولد بمنفوحة في اليمامة وان أباه كان يلقب بقتيل الجوع ( لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحر ، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار ، فمات فيه جوعا ، وفي ذلك يقول جهنام [٥] يهجوه [٦].

أبوكَ قَتِيلُ الجوعِ قيسُ بن جندلٍ وخالكَ عبدٌ من خماعةَ راضعُ

ثم تنقطع أخباره بعد ذلك فلا نراه إلا شاعرا مشهورا مرهوب الجانب يطوف البلدان وأنحاء الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها مادحا الملوك والأشراف .

وقد كان الأعشى احد الذين أُختلف فيهم النقاد القدماء ، ففضله بعضهم على سائر شعراء الجاهلية وكانوا يسمونه ( صناجة العرب ) لجودة شعره ولما له في الأذن من دوي ورنين حتى ليخيل للسامع انه ينشد على جرس الصنج ، ويبالغون في ذلك حتى يجعلون كسرى يستمع لبعض غنائه فيه [٧] .

وقد اقترن ذكر الأعشى عند القدماء بشعر الخمر ، فعدوه اشعر شعرائها ، بين الشعراء الجاهليين ، والحقيقة أن الأعشى كان شغوفا بالخمر وبمجالسها ، لا يعدل بها شيئا ، ولا يستطيع لها فراقا ، حتى روي انه في قدومه على النبي ﷺ وعدوله عن الإسلام انه لم

يهتم ويجزع لتحريم الإسلام للزنا والقمار والربا ، ولكنه جزع اشد الجزع حين علم انه يحرم الخمر [٨] . وهو القائل [٩] :

وَكأسٍ شَرِبْتُ على لــذةٍ وأخْرى تَدَاويــتُ منها بها

ومثلما افتتن الأعشى بالخمر افتتن بالنساء . يقول ابن سلام انه كان من الشعراء الذين كانوا يبغون على أنفسهم ويتعهرون. [١٠].

لكن مع كل ذلك عرف عن شاعرنا البذل والعطاء ، إذ كان رفاقه وصحبه يجتمعون إليه في منزله فيأكلون ويشربون الخمر [١١] وقد بلغ من وفائهم له بعد موته أنهم كانوا ينادمون قبره فيسقونه الخمر ميتا كما كان يسقيهم إياها حيا [١٢] .

كانت هذه الخصال التي انماز بها الأعشى كافية أن تجعله في حاجة دائمة إلى المال ، لذلك راح يطوف البلدان قاصدا الملوك والأشراف يمدحهم كي ينال عطاءهم ، وأسرف في الترحال وابتذل في السؤال ، حتى عدَّه مؤرخو الأدب العربي أول من سأل بشعره [١٣] وهو يعترف بذلك في بعض قصائده المدحية كقوله لقيس بن معد يكرب [١٤] .

ونبئِّتُ قيــســاً ولَم أبْلــــهُ كَمَا زعَموا خَيْرَ أهْلِ اليَمَنْ
فَجِئْتُكَ مُرْتادَ ما خــــبَّروا ولَوْلاَ الذَّي خــــبَّرُوا لَمْ تَرَنْ
فَلا تَحْرِمَنِّي نَدَاكَ الجَــزيلْ فَإنِّي أمْرُؤٌ قَبْلَكَمْ لَمْ أُهَــــنْ

ويكفينا أن نسمع بعض أشعاره لنعرف انه وصل إلى عمان وفلسطين وبلاد الشام والحبشة والعراق وفارس وغيرها فيقول مثلا [١٥] :

وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَــهُ عُمَانَ ، فَحِمْصَ فأُورِ يشلِمْ
أَتَيْتُ النَّجاشِيَّ فيَ أَرضِهِ وأَرْضَ النّبِيطِ وأَرْضَ العَجَــمْ
فَنَجْرانَ فالسَّرَ وَ مِنْ حِمْيَرٍ فَأي مَــــرَامٍ لــــهُ لــمْ أَرُمْ

وقد أفاضوا عليه بالنعم ما بين ابل وجياد وإماء وقيان وأكسية الخز والديباج وصحاف الفضة وقد أتاحت لشاعرنا هذه العطايا حياة مترفة ناعمة في بعض الأحيان ، ووصلته هذه الرحلات بأسباب الحضارة ، ورفعته فوق مستوى البداوة الخشنة التي تظهر في شعر اغلب الشعراء الجاهليين [١٦] ونجد ذلك ظاهرا في خمرياته وغزله ، إذ يصف الأعشى إحدى صواحبه فيقول [١٧] :

وَقَدْ أَرَاَها وَسْطَ أَتْرابِهَــا في الحيَّ ذِي اَلبَهْجَةِ والسَّامرِ
كَدُمَيةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَــا بِمُذْهَبٍ فيَ مَرْمَــرٍ مائِــــرِ

ومع ذلك فإن رحلاته في البلدان وتطوفه ، لم تمنعه عما ينبغي للشاعر الجاهلي من المشاركة في شؤون قبيلته والإخلاص لقومه وعشيرته فقد وجدناه يسجل انتصاراتها ويهاجم أعدائها ، ويؤرخ وقائعها وأحداثها مشيدا بأبطالها منددا بخصومها كقوله مفتخرا بانتصار قومه في يوم ذي قار [١٨] :

وَجُندُ كِسرى غَداةَ الحنوِ صَبَّحَهُـــم ... مِنّا كَتائِبُ تُزجي المَوتُ فَانصَرَفوا
جَحاجِحٌ وَبَنو مُلكٍ غَطارِفَةٌ ... مِنَ الأَعاجِمِ في آذانِها النُطَفُ
إِذا أَمالوا إِلى النُشّابِ أَيديَهُـم ... مِلنا بِبيضٍ فَظَلَّ الهامُ يُختَطَـفُ
وَخَيلُ بَكرٍ فَما تَنفَكُّ تَطحَنُهُم ... حَتّى تَوَلّوا وَكادَ اليَومُ يَنتَصِفُ
لَو أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كانَ شارَكَنا ... في يَومِ ذي قارَ ما أَخطاهُمُ الشَرَفُ

## المبحث الأول

### الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الغزل

استكثر الأعشى من استعمال مفردة الصوت في شعره فهو يستعير صوت الظبي الذي له مدلولاته التي تسعفه في غرض الغزل فإذا أراد أن يتغزل بحبيبته الفاتنة اللعوب ، المعطرة الثياب البضة الأنامل لا يجد انسب من صوتها الباغم الاغن ليضفي على حبيبته النعومة والجمال كما في قوله [١٩] :

خالطَ الْقلَبَ هُمَومٌ وحَزَنْ ... واَدكّارٌ بَعْدَ مَا كَانَ اطْمَأَنْ
فَهْوَ مَشْغُوفٌ بِهْنْدٍ هَائِـــمٌ ... يَرْعَوي حِيناً و أَحياناً يَحـــنْ
بِلَعُوبٍ طَيِّبٍ أَرْدَانُـــها ... رَخْصةِ الأَطْرافِ كَالرِّئمِ الأَغَنْ

وإذا أراد الشاعر أن ينعت حبيبته بأنها كريمة العنصر لا يجد انسب من استعمال مفردة (مهزاق ) فحبيبته بضة الأنامل جميلة كالدمية لا يفسد جمالها العبوس ولا يذهب بوقارها الإسراف في الضحك يقول [٢١] :

يَوْمَ أَبْدَتْ لنا قُتَيلَةُ عن جـــيـــ ... ـدٍ تليعٍ تَزِينُهُ الْأَطْـــواقُ
وَشَتِيتٍ كَالأقحُوانِ جَلاَهُ الـــ ... ـطَلَّ فيه عُذُوبَةٌ وَاتِّساقُ
وشتيتٍ جَثْلِ النَّباتِ تُرَوِّيـــ ... ـهِ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفَنـــاقُ
حُرَّةٌ طفلةُ الأنامِلِ كَالدُّمـــ ... ـيــةَ لاَ عابِسٌ ولا مِهْـــزَاقُ

هكذا يرى الأعشى أن جزءا من جمال المرأة يكون في هدوء ضحكتها وعدم علو صوتها .

ولا تكتمل عناصر الجمال والأنوثة عند المرأة إلا بصوت حليها الذي يضفي عليها إثارة تتميز بها ، والذي تكتسب به جمالا آخر يعكس مدى ترفها و بهائها ، ويجذب انتباه الرجل إليها وقد فتن الأعشى بصوت حليها إذ يقول [٢٢] :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكبَ مُرتحِـــلُ وَهَلْ تطيقُ وَدَاعاً أَيُّها الرَّجُـــلُ
غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مصْقُولٌ عَوارِضُها تَمْشِي الهُوَيْنا كَما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ
كَأَنَّ مَشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جَارَتِهـــا مَرَ السَّحابةِ لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَلُ
تَسْمَعُ لِلَحْلي وسْواساً إذا انصَرَفتْ كَما اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشرقٌ زَجِـــلُ

وصف لنا الأعشى حبيبته ( هريرة ) بأنها ذات بشرة بيضاء وشعر غزير مسترسل وثغر صقيل ناصع البياض تخطر متمهلة حين تمشي حتى يخيل إلى الناظر إليها أنها تسير في ارض قد كستها الأوحال فهي تخش الزلل ، أو كأنها تشتكي الماء في بطن رجلها . فهي تمشي في خفة ورشاقة كأنها سحابة تسبح في الفضاء متمهلة يوسوس الحلي في معصميها وساقيها كأنه حب العشرق قد حركته الريح ، فالأعشى عقد علاقة مشابهة بين صوت حلي محبوبته وصوت حب العشرق حين تحركه الريح والجامع لتلك المشابهة هو الصوت الرفيع العالي .

فالحبيبة تتمتع بجمال رائع يتأتى من لبسها الحلي الذي زادها تألقا وبهاءا ، فأصوات حركة الحلي تناسقت مع جمالها الطبيعي لتزيد من تعلق الشاعر بها .

من ذلك نجد أن غزل الأعشى مزيجٌ من أوصاف المرأة ومن عاطفته فهو لا يفهم الغزل إلا في لذة مادية لدى المرأة في ثغرها الجميل وجسدها المميز .

ويفتتن الأعشى بصوت الحلي التي اتخذتها حبيبته قتيلة زينة لها إذ يقول [٢٣] :

صَحا القَلبُ مِن ذِكرى قُتَيلَةَ بَعدَمـــا يَكونُ لَها مِثلَ الأَسيرِ المُكَبَّلِ
لَها قَدَمٌ رَيّا سِباطٌ بَنانُهـــــــــــا قَدِ اِعتَدَلَت في حُسنِ خَلقٍ مُتَبَّـــلِ
وَساقانِ مارَ اللَحمُ مَوراً عَلَيهِما إِلى مُنتَهى خَلخالِها المُتَصَلصِلِ

يستمتع الأعشى بجمال حبيبته التي لا يزال يحن إليها ، ولا ينسى جسمها الطافح بالفتنة والإغراء ، قامة فارعة وقدم طرية مسترسلة وساقان ممتلئان زينهما خلخال متصلصل بث الحركة في المشهد بصوته الرنان فازدادت الحبيبة جمالا به .

ويصف لنا الأعشى حبيبته في القصيدة نفسها وهي مزدانة بحليها ذات الأصوات المميزة قائلا [٢٤] :

وَتَضحَكُ عَن غَرِّ الثَنايا كَأَنَّـــهُ ذُرى أُقحُوانٍ نَبتُهُ لَم يُفَلَّـــــــلِ
تلالُؤُها مِثلُ اللُجَينِ كَأَنَّمـــــــا تَرى مُقلَتَي رِئمٍ وَلَو لَم تَكَحَّـــلِ
سَجُوّينَ بَرجاوَينِ في حُسنِ حاجِبٍ وَخَدٍّ أَسيلٍ واضِحٍ مُتَهَلِّـــــــلِ
لَها كَبِدٌ مَلساءُ ذاتُ أَسِـــرَّةٍ وَنَحرٌ كَفاثورِ الصَريفِ المُمَثَّـــلِ

يَجولُ وِشاحاها عَلى أَخمَصَيهِما إِذا اِنفَتَلَت جالاً عَلَيها يُجَلجِلُ
فَقَد كَمُلَت حُسناً فَلا شَيءَ فَوقَهـا وَإِنّي لَذو قَولٍ بِها مُتَنَخَّـلِ

لقد انمازت حبيبة الأعشى من خلال الوصف بجمال مضحكها الأبيض وبشرتها النقية الملساء ، وعيناها الكحيلتان الحالمتان وخدها الأسيل المتهلل الذي يفيض بالبشر ونحر كلوح المرمر ، وزادها جمالا لبسها وشاحين وهما كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ينبعث منهما صوت كصوت الجرس حين تتحرك .

هكذا يرى الأعشى أن الصوت عنصر مكمل من عناصر جمال المرأة فقد كمل به حسنها فليس فوق جمالها جمال .

ومثلما هام الأعشى بأصوات النساء هام بأصوات الموسيقى والغناء ، فها هو يمضي في أحلامه ، متمثلا مجالس الخمر عند قيس ، جالسا يحيط به الندماء تجري بينهم الكؤوس( وتصدح ) المغنية إذ يهيجها الشاربون ، ويصفو صوتها متدرجا في الصعود حين تضرب على أوتار العود فيقول [٢٥] :

وَصَحبِنا مِن آلِ جَفنَةَ أَملا كاً كِراماً بِالشامِ ذاتِ الرَفيفِ
وَبَني المُنذِرِ الأَشاهِبِ بِالحـيـ ـرَةِ يَمشونَ غُدوَةً كَالسُيـوفِ
وَجُلُنداءَ في عُمانَ مُقيماً ثُمَّ قَيساً في حَضرَمَوتَ المُنيفِ
قاعِداً حَولَهُ النَدامى فَما يَنـ فَكُّ يُؤتى بِموكَرٍ مَجـدوفِ
وَصَدوحٍ إِذا يُهَيِّجُها الشَـ بُ تَرَقَّت في مِزهَرٍ مَندوفِ

ويبقى الأعشى يدور في حوانيت الخمر مصورا ما تموج به من ضروب اللهو والترف مقدما لنا صورة بديعة لهذه البيوت فيقول [٢٦] :

وَلَقَد أَغدو عَلى نَدمانِهـا وَغَدا عِندي عَلَيها وَاصطَبَـحْ
وَمُغَنٍّ كُلَّما قيـ ـلَ لَهُ أَسمَعِ الشَربَ فَغَنّى فَصَـدَحْ
وَثَنى ا لكَفَّ عَلى ذي عَتَـبٍ يَصِلُ الصَوتَ بِذي زيرٍ أَبَـحْ
في شَبابٍ كَمَصابيحِ الدُجـى ظاهِرُ النِعمَةِ فيهِم وَالفَـرَحْ
رُجُحُ الأَحلامِ في مَجلِسِهِـم كُلَّما كَلبٌ مِنَ الناسِ نَبَـحْ

فعندما نتأمل هذه الأبيات نجد طبيعة تشكيل الصورة من خلال توظيف الصوت بشكله المكثف أوحت لنا عن براعة الشاعر في رسم الصورة السمعية بهذه الأصوات الجميلة التي تشد ذهن المتلقي وتجعل من مخيلته مكانا خصبا للأصوات تتناسب مع نفسية الشاعر ،

فالشاعر هنا جمع صوت المغني الذي يصاحب غناءه العود فيختلط صوته بأنفاسه بين حاد رقيق وخشن اجش وبين صوت الموسيقى ، وقد وظف الشاعر هنا الصوت وظيفة جمالية ، ويستمر في حرصه على تأدية الوظيفة للنص الشعري فيعطيه خصوصية يتميز بها من خلال المصادر الصوتية التي يستعملها والتي تبين مقدرته في التعامل مع الأصوات وهو يشكل الصورة بعناية ووضوح فهو مولع كما يبدو في اغلب نصوصه الشعرية بخلط الأصوات بهذه الطريقة وبشكل ظاهر للمتلقي عند استقراء مجهوده الشعري . ومنه قوله [٢٧]

أَنْتِ سَلْمَى هَمُّ نَفْسي فَاذْكري ... سَلْمُ لاَ يُوجَدُ للنَّفْسِ ثَمَـــنْ
وَعَلاَلٍ وظِـــلالٍ بَـــارِدٍ ... وَفَلِيجِ المسْكِ والَشَّا هْسفَرنْ
وَطِلاءٍ خُسْرٍ وانـــي إذا ... ذَاقهُ الشَّيخُ تَغَنَى وارْجَحَنْ
وَطَنَابِيرِ حِسانٍ صَوْتهـــا ... عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّما مُسَّ أَرَنْ
وإذا المُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَـــهُ ... عَزَفَ الصَّنْجُ فَنادى صوت وَنْ
وإذا مَا غُضَّ مِنْ صَوْتيهـــما ... وَأَطاعَ اللَّحْنُ غَنَّانا مُغَـــنْ

فهو بعد أن يتغزل بحبيبته سلمى ينتقل إلى تصوير ذكرياته في لون آخر من ألوان المتعة التي تذوقها من خمر وغناء ، في غرف عالية وظل ظليل ، وقد فت المسك ونثرت الرياحين ، يطاف عليه بخمر إذا ذاقها الشيخ عاد إليه شبابه فاهتز طرباً ومال متغنيا ، وغنى المغني على الحان الطنابير والصنج الرنان ، فإذا فنى صوت المغني وخفت ألحانه انبعثت الصنج يجيبه ألون ، يمهدان للغناء من جديد فإذا أطاعت الألحان ، خفت رنين الأوتار وانطلق المغني يصدح بصوته .

هكذا طغت المفردات الصوتية على اللوحة الشعرية فزادتها جمالا وروعة . ومثله قوله[٢٨]

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحانوت يَتْبَعُـــني ... شاوٍ مِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَـــولُ
في فِتْيَةٍ كسيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِموا ... أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عن ذي الحِيلَةِ الحِيَلُ
نازَعْتُهمْ قُضُبَ الرَّيحَانِ مُتْكئاً ... وَقَهْوَةً مُزَةً راووُقها خَضِـــلُ
لا يَسْتَفِيقونَ منها وَهْيَ رَاهِنـــةٌ ... إلاَّ بهَاتٍ ، و إنْ عَلُّوا و إنْ نهِلُـــوا
يَسْعى بها ذو زُجاجاتٍ لهُ نُطَفٌ ... مُقَلصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِـــلُ
وَمُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يَسْمَعُهُ ... إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ
مِنْ كُلِّ ذلكَ يَوْمٌ قد لهِـــوتُ به ... وفي التَّجارِبِ طول اللَّهْوِ والغَـــزَلُ

يصف لنا مشهد الحانة الذي يحمل سمة الفرح والمتعة ، فتية كسيوف الهند ، وقد تناثرت عليهم قضبان الرياحين ، وهم يتناقلون كؤوس الخمر ، وبينهم نساء حسان ، وزادت اللوحة مسحة جمالية جذابة أمتعت أذن المتلقي قيان نشطن للغناء على نغمات العود وجرس الصنـــج .

ويبقى الأعشى متمثلا مجالس اللهو والخمر ، يعلم الناس انه خبير بضروب العيش ، يأتي اللذات من ابوابها خمر حمراء ، تكشف لصفائها عما تحت قعر الكأس من مثل قذى العيون ومن حوله الورد والياسمين والزامرات بالمزامير ، والناقرات على الدف لا يفترن ولا ينثنين قائلا [٢٩] :

وَكَأسٍ شَرِبْتُ عَلى لَـــذَّةٍ وَأُخْرى تَدَاوَيْتُ مِنْها بِها
لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنيَّ امْـــرُؤٌ أَتَيْتُ المَعِيشَةَ من بَابِهَا
كُمَيْتٍ يُرَى دُون قَعْرِ الإِنَى كَمِثْلِ قذى الْعَيْنِ يُقْذَى بِها
وَشَاهِدُنَا الورْدُ وَالياسمِيـــ ـــن والْمسمعَاتُ بُقِصَّابهـــــا
وَمِزْهرنا مُعْمَلٌ دائِمٌ فَأَيُّ الثَّلاَثَةِ أُزرَى بِهَـــا
تَرَى الصَّنْجَ يَبْكي له شَجْوَهُ مخَافَةَ أَنْ سَوْفَ يُدْعى بها

ومثله قوله [٣٠] :

وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَونِ الفُصُو صِ بَاكَرْتُ في الصبْحِ سَوَّارَهَا
..... .... .. .... ...
تَمَزَّزْتُها في بنى قابيـــا وكُنْتُ على العِلِمْ مُخْتَارَهَا
.... .... ..... ..... .....
و مُسْتمعتَانِ وَضَّاحَـــةٌ تُقلبُ بِالْكَفِّ أَوتَارَهَـــا
وَبَرْبَطُنا مُعْمَلٌ دائِمٌ فَقَدْ كَادَ يَغْلِبُ إِسْكَارَهَا

إن إحساس الأعشى بالجمال هو الذي دفعه ليحسن توظيف مفردات ( الصوت ) في هذه اللوحات الشعرية ، فقد أثرى المشهد بأصوات جميلة تدل على الفرح والسعادة والنشوة ملأت المشهد المتعة حتى لتكاد تسمع تلك الأصوات من حولنا .

## المبحث الثاني

### الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الحرب

إن رحلات الأعشى وتطوافه في البلدان لم تمنعه عما ينبغي للشاعر الجاهلي من المشاركة في شؤون قبيلته والإخلاص لقومه وعشيرته ، فقد وجدناه يسجل انتصاراتها ويهاجم أعدائها ، ويؤرخ وقائعها وإحداثها مشيدا بأبطالها منددا بخصومها ، فهو يوظف مفردة الصوت في لوحة الحرب فإذا ما أراد أن ينعت الحرب بالبشاعة ، والجهل بالثقل لا يجد أفضل من استعمال المفردة الصوتية ( متخمطاً ) ناعتا بها الحرب والمفردة الصوتية (منتحماً) ناعتا بها الجهل إذ يقول [٣١] :

وَإِنَّ الحَربَ أَمسى فَـحـ ... لُها في الناسِ مُحتَلِما
حَديداً نابُهُ مُستَـد ... لِقاً مُتَخَمِّطاً قَطِما
أَتانا عَن بَني الأَحـرا ... رِ قَولٌ لَم يَكُن أَمَما
أَرادوا نَحتَ أَثلَتِنا ... وَكُنّا نَمنَعُ الخُطُما
وَكانَ البَغيُ مَكروهاً ... وَقَولُ الجَهلِ مُنتَحِما

يشبه الأعشى الحرب بالجمل القوي الذي اشتد واكتملت قواه وبرزت أنيابه الحادة ، يهدر وقد اخرج شقشقته في صياح عنيف مخيف .

وهكذا يبرع ويبدع الأعشى في توظيف مفردات الصوت في لوحة الحرب وفي رسم صورة صوتية .

وفي القصيدة ذاتها يفخر الأعشى ببطولة قومه وشجاعتهم موظفا مفردة الصوت ( لجبأ) والتي خص بها جيش الاعداء ومفردة الصوت ( قعقع ) خاصا بها قومه قائلا: [٣٢]

فَبَاتُوا لَيْلَهُمْ سَمَـراً ... لِيُبْدَوا غِبَّ ما نجما
فَغَبُّوا نَحوَنا لَجباً ... يَهُدُّ السَّهْلَ وَالاكَمَا
صَبَحْناهُمْ بِنُشَّـابٍ ... كَفيت قَعْقَعَ الأدَمَا
هُنَاكَ فِـدىً أُمـي ... غَدَاةَ تَوَارَدُوا الْعَلَـمَا
بِضَرْبِهِمُ حَبِيكَ الْبَيـ ... ـضِ حَتَىَّ تَلَّمُوا الْعَجَمَا

يصف جيش الاعداء وقد اقبلوا عليهم ، لهم جلبة وضوضاء تهد السهل ، وترددها الجبال دلالة على كثرة عددهم وعدتهم ، لكن قومه صبحوهم بالسهام ، تنطلق مسرعة ، حتى يسمع في جلودهم طنين لشدة وقعها عليهم .

ويلجأ الأعشى إلى توضيف المفردة الصوتية ( ندد ) لإظهار شجاعة وببطولة ممدوحة في لوحة حربية قائلا [٣٣] :

فَمَا وَجَدتُكَ الحَربُ إذ فرَّ نَابُهـــا عَلى الأمرِ نَعَّاساً عَلى كلَّ مَرْصـــــدِّ
وَلكِن يَشُبُّ الحَرْبَ أدْنى صُلاَتها إذا حَرَّكُوهُ حَشَّها غَيْرَ مُبْـــــــــرِدِ
لَعَمْرُ الذَّي حَجَّتْ قُرَيشٌ قَطِينَهُ لَقَدْ كِدْتُهُم كَيْدَ أمـــــرِي غَيْرِ مُسنْـــــدِ
أُولى وَ أُولى كُلُّ فَلَسْتُ بِظالمٍ وَطِئْتُهُم وَطْءَ البَعِيرِ المُقَيـــــــــــدِ
بِمَلْمُومَةٍ لا يَنْفُضُ الطَّرفُ عَرْضَها وَخَيْلٍ وَأرمـــــاحٍ وَجُنْدٍ مُؤَيــدِ
كَأَن نَعَامَ الدَّوِّ بَاَضَ عَلَيْهِـــمُ إذا رَيعَ شَتَـــــىَّ للصَّريخ المُنـــــدَدِ

يصف ممدوحه بأنه ليس بالمتواني ولا النعاس اذا ما كشفت الحرب عن انيابها وانه ليقودها ويصطلي نارها ،يقسم بعد ذلك بأن ممدوحه قد كاد اعدائه غير معتد ولا ظالم , بكتيبة مضمومة ، لا تبلغ مداها العين ، وخيل ورماح وجنود مؤيدة بروح ممدوحة وقوته ، ويصف جنود ممدوحة بأنهم رابطي الجأش ، حين يفزع الناس أشتاتا ويتعالى صوت المستغيث الخائف .

ويدخل الصوت مرة اخرى في لوحة الحرب ويوظفه الاعشى توضيفا يتبين من خلاله شجاعة ممدوحه كما يتضح في قوله [٣٤] :

بِالخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهـــــا رُجُعاً تُغَادِر بالطَّرِيقِ سِخَالَها

.... ..... ..... ....

وَسَمِعْتُ أكْثَرَ مَا يُقَالُ لهَا أَقْدِمي وَالنَّصُّ والأيجافُ كان صِقَالَها

يريد الشاعر هنا ان يبرهن على شجاعة قومه فيصف لنا ما يشن قومه من غارات طويلة الامد ، ترى الخيل فيها شعثا قد اجهدها التعب . ولم تستطيع صغارها على متابعتها في الطريق فغادرتها ولا تسمع هنا الا صيحات الفرسان يهبون بالخيل أن تتقدم . فأكد الاعشى هنا من خلال الصوت شجاعة قومه وبطولتهم . ومثله قوله [٣٥] :

وَتَقْوادُه الخَيْلَ حَتَىَّ يَطُو ـــلَ كرُّ الرَّوَاةِ وإيغالُهَـــــا
إذا أَدلَجُوا لَيْلَةً والرِّكـــا بُ خُوضٌ تخَضْخَض أَشْوَالُها
وَتُسْمَع فِيَها هَبِي واقدمي وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطُالُها

تظهر هنا شجاعة الممدوح عندما تتعالى اصوات الفرسان مختطلة بزجر الخيل مهيأة عليها ارسانها او مطلقة لا قلائد عليها ولا ارسان تحث بها على التقدم .

ويوظف مفردة الصوت ( كريرا ) في قوله [٣٦]:

وأَهْلي فِدَاؤكَ عِنْدَ النِّـــــزالْ إذا كان دَعْوَى الرِّجَالِ الكريرا
فسَائِلْ تَمِيماً وَعِنْدِي البَيَانْ و إِنْ تَكْتُمُوا تَجِدُوني خَبِيرا

تظهر هنا شجاعة الممدوح حين يحتدم القتال ويبح صوت الرجال وتجف حلوقهم فلا يكون صياحهم الا صوتا خافتا كانه الحشرجة .

ويوظف مرة اخرى صوت المستغيث مستعملا مفردة ( يثوب ) لبيان شجاعة الممدوح قائلا [٣٧] :

وَإذا يُثوِّبُ صَارِخٌ مُتَلَهِفٌ وَعَلاَ غُبَارٌ سَاطِعٌ بِعِمَـــادِ
رَكِبتْ إِلَيْكَ نَزَائِعٌ ملبونةٌ قُبَّ الْبطُونِ يُجُلْنَ في الأَلبادِ

تظهر هنا شجاعة الممدوح ( حين يهتف بهم الصارخ المتلهف ) ، حين يحتدم القتال وتعلوا اعمدة الغبار ذاهبة في السماء لا نجدهم الا وقد ركبوا كرائم الخيل لنجدة المستغيث الصارخ المتلهف ونصرته .

ويدخل الصوت في غرض الفخر لبيان شجاعة قومه باساليب راقية تدل على ملكة شعرية عالية في كيفية التعامل مع المفردة الشعرية كما يتضح في استخدامه لمفردة الصوت ( يهل) اذ يقول [٣٨] :

إِنّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ قيْسيـــــةٍ شُمِّ الأُنوفِ غَرانقٍ أَحْشَادِ
..... ..... .....
وَالضَّامِنِينَ بِقَوْمِهِمْ يَوْمَ الْوَغَى للحَمْدِ يَوْمَ تَنَازُلٍ وَطَــرادِ
كَمْ فِيهِمُ مِنْ فارِسٍ يوم الْوَغى ثَقَفِ اليَدَيْنِ يَهِلُّ بالاقْصَادِ

اراد الاعشى ان يبين شجاعة قومه ساعة الحرب وكم فيهم من فارس حاذق اليدين ، يصيح صيحة الفرح والنصر حين يصيب بضربته فيقتل ، فاكد من خلال الصوت امرين : الاول شجاعة قومه ، والثاني : هلاك اعدائه .

ويتوقف الاعشى عند عدة الحرب التي اعدها ممدوحه واصفا اياها قائلا [٣٩] :

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَـــا رِمَاحاً طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُورَا
وَمِنْ نَسْجِ دَاوُد مَوْضُونَةً تُساقُ مَعَ الحيِّ عيراً فَعيــرا
إذا ازْدَحَمتْ في المكان المضيــ ــقِ حَتىَّ التَّزاحُمُ مِنْهَا القَتِيرا
لَهَا جَرَسٌ كَحفيفِ الحَصَا دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دُبُـــور

بعد ان يصف ما اعد ممدوحه للحرب من رماح طوال وخيل جياد يصف الدروع الكثيفة التي نسجت نسجا مضاعفا ، وحملت فوق الجمال ، اذا ازدحمت في المسالك الضيقة بين الجبال ويسمع لها صوت يشبهه بحفيف الحصاد حين تهزه الريح العنيفة في سكون الليل

ولا يتغاضى الاعشى عن ذكر القوس متباهيا بصوته الذي يرمز الى قوته وصلابته فنجد ذلك في وصفه اياه اذ يقول [٤٠] :

كَمْ فِيهِمْ مِنْ شَطْبَةٍ خَيفِــقٍ وَسَابِحٍ ذِيَ مَيْعَةٍ ضَابرِ

وَكُلِّ جَوْبٍ مُتْرَصٍ صُنْعُةٌ وَصارمٍ ذي رَوْنَقٍ بَاتِرِ
وَكُلِّ مِرْنانٍ لُه أَزْمــلٍ وَلَينٍ أَكعبُهُ حَــادِرِ

يذكر الشاعر الصفة الصوتية ( مرنان ) ويحذف الموصوف ( القوس ) لدلالة الحال عليه .

## المبحث الثالث

### الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الطبيعة

الصوت والطبيعة المتحركة :

أكثر الأعشى من الحديث عن الحيوان في شعره ، حاله حال بقية شعراء عصر ما قبل الإسلام ، إذ كانوا يقصدونه في أغراضهم الشعرية ، لما له من أثر في حياتهم ، وقد تكون الإبل من أهم الحيوانات التي تركت أثرا كبيرا في الحياة العربية وسجلت حضورا بارزا في الشعر العربي قبل الإسلام ، ومقطع الرحلة في القصيدة العربية مقطع مميز يسهب الشاعر في أثنائه من وصف الناقة بدقة عالية [٤١] (( إذ يصفها عضوا عضوا ويصف هيئتها وطباعها ويفيض في الحديث عنها في أحوالها جميعا أطراف الليل وأناء النهار كأنما يتغزل بها )) [٤٢] ، وقد نجح الأعشى في رسم صورة دقيقة وأمينة لها ، فقد ظفر صوتها باهتمام شاعرنا فوصفه قائلا [٤٣] :

وَعُذَ فرٍ سَدسَ تَخَالُ مخاله برْجَاً تُشَيِّدُه النبيطُ الْقَرْمَدَا
وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيســـهِ ثَنَّى فَهَبَّ هِبَابَةُ وَتَزَيَّــدا

فالأعشى هنا يفخر بجمله الضخم الفتي الذي تماسكت فقارة ، فكانها برج ( النبيط ) اذا ( ارغى وهدر ) فالتف زبده باسنانه هب يجدد نشاطه وانطلق في عدو سريع .

إن الأعشى أقام معرضا ضخما لناقته حرص فيه على رسمها بعناية كبيرة فصورها في اوضاع مختلفة : فقد حرص على طائفة من الصفات ليوفرها لناقته كالصلابة والقوة ، والنشاط والقدرة على احتمال الرديف ، والمضي في الليل خالي الجوف ، لا يدير فكيه ، الا ما يسمع لا نيابة من ( صرير ) إذ يقول [٤٤] :

وَلقد أُحْزِمُ اللَّبانةَ أَهْــــلي وَأَعَدِّيهِمُ لأَمْرٍ قَذِيفِ
بِشُجَاعِ الْجَنَانِ يَحْتَفِرُ الظَّــا ماءَ مَاضٍ على الْبِلادِ خَشُوفِ
مُسْتَقِلٍّ بِالرِّدْفِ ما يَجْعَل الْجـــ ـــرَّةَ بَعْدَ الأَدلاجِ غَيرِ الصَّــرِيفِ

والتفت مرة اخرى الى صريف انيابها فقال [٤٥] :

وَيعلَنُ مِنْهَا صَرِيف السَّدِيــسْ إذا صرفته بأنيابها

ويجنح الاعشى الى صورة جميلة من عالم الانسان حين يشبه صوت خف ناقته المشقوق وهي تحتك بالارض بالصوت المبحوح قائلا (٤٦) :

وَلَقَدْ أَجْزِمُ حَبْلِي عامـــــداً بِعَفَرْناةٍ إذا الآل مَصَــحْ
تَقْطَعُ الْخَرْقَ إذا ما هَجَّرَتْ بِهباب وإرانٍ وَمَرَحْ
وَتُوَلِّيِّ الأَرْضَ خُفَّاً مُجْمَراً فإذَا صَادَفَ المروَ رَضَـــحْ
فَتَرَاه فِلقاً فَرَاسِناً ذا رَنَينٍ صَحِلَ الصَّوْتِ أَبحْ

ورسم لنا الاعشى صورة طريفة حين شبه سرعة جريها وانبعاث صوت منه حين تجري بحيفف ذكر النعام حين ينشر جناحيه مطاردا انثاه اذ يقول (٤٧) :

إذَا مَا رُعَتهَا بِالزَّجر أَجتَّ أَجِيجَ مُصلَّم يَزْفي نَعَامَــا

ويقف الاعشى يسترق السمع الى اطيط نسوع ناقته ثم يرسم صورة بديعة لها قائلا (٤٨):

مُفَرَّجَةً يئِطُّ النِّسعُ فيهــا أَطِيط السَّمَهريَّةِ أَنْ تُقَامَـــا

يشبه الاعشى صوت السيور بصوت الرمح في يد الذي يلينها ويقومها على النار .

ولم يكن مع الطير اقل اهتماما منه مع الحيوان ، اذ شكل حضورا لافتا في قصائده ، وفي مقطع الرحلة خاصة فهو يرسم لنفسه صورة الفتى العربي الذي يقتحم الليل ، ويمضي من دون مشقة او خوف في ارض موحشة اقفرت من كل شيء لا يونس سالكها في الليل الا نعيق البوم وصوت الضوع اذ يقول (٤٩) :

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ اَلجَّوابُ دُلجتهــا حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهاَ يَبْتَغي الشِّيَعَا
لاَ يَسْمَعُ الَمرْءُ فيها ما يؤنِّســـهُ بالَّليل إلاَّ نَئِيمُ البُوم والضُّوَعَـــا
كَلَّفتَ مَجْهُولها نَفْسِي وشايعني هَمّي عَلَيَها إذا مَا آلُها لمَعَــا

ويركب الأعشى مرة أخرى ظهر الفلاة العمياء ، وينتهي اليه صوت البوم يفزعه اذ ينعق في ظلام الليل البهيم فيزيد في وحشته ورهبته حيث يقول (٥٠) :

وَيَهْمَاءَ بِاللَّيلِ غَطْشى الفــلا ةِ يُؤنسنِي صَوْتُ فَيَّادِها

ومن الطيور التي كان لها حضور في شعر الاعشى الغراب بصوته المميز وقد تشاءمت منه العرب لارتباط صوته بفراق الاحبة فيرمز بصوته الى الشؤم ، وهذا ما لمسناه عند الاعشى في لفظة ( شحيج ) اذ يقول (٥١) :

إنّي أَخَافُ الصُّــرْمَ مِنْــ ــهَا أَو شحيج غُرَابِهَـــا

وهكذا يحقق الصوت في المشهد فعل التطير والتشاؤم بالقدر الذي يحمله الغراب وصوته من التشاؤم ، تقابله صورة الديك وصوته في التعبير عن ولادة فجر جديد وحياة جديدة اذ يقول (٥٢) :

أَرَحْنَا نباكرُ جِدَّ الصَّبو ح قَبْلَ النُّفُوسِ وحَسَّــادِها

فَقُمْنا ولَمَّا ( يَصيحُ ) ديكنا إلى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

ويمضي الاعشى بناقته الجريئة الضخمة الى الصحراء ، فيصورها في رهبتها المفزعة وسكونها المخيف ، عمياء لا يتبين السالك فيها طريقه ، راكدة المياه ، مطموسة الابار ، لا يسمع المسافر فيها الا عزيف الجن لكنه يقطعها متحديا اذ يقول [٥٣] :

وَيَــهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهــا مَنَاهِلُها اجِنَاتٌ سَــدُمْ
قَطَعتُ بَرِسَّامةٍ جَسْرَةٍ عُذافِرةٍ كالفَنيقِ القَطِمْ

ولن نجد صورة اخرى للصحراء غير هذه فهي دائما موحشة مقفرة تعزف بها الجن فتزيدها رهبة وفزعا فيقول [٥٤] :

وَبلدَةٍ مِثلِ ظَهرِ التُرسِ موحِشَةٍ لِلجِنِّ باللَيلِ في حافاتِها زَجَلُ
لا يَتَمَّى لَها بِالقَيظِ يَركَبُــــها إلا الَّذينَ لَهُم فيما أَتَوا مَهَــلُ

الصوت والطبيعة الصامتة :

لم تكن النساء والحروب هي كل ما يرنو اليه قلب الاعشى ، فقد راينا شاعرنا محبا للطبيعة مفتونا بجمالها الساحر ولكن هذا لم يمنعه من ان يلتفت الى البرق حين يلمع بين الجبلين فيثير اعجابه ، حين تنشق السحب عن بريقه اللماح ، وقد سدت الافاق ، واقامت في السماء ( مرعدة مدوية ) وكانها حين تجمعت قطيع من النعام ، تهدل ريشه معلقا في الفضاء قائلا [٥٥] :

بَل هَل تَرى بَرقاً عَلى ال جَبَلَينِ يُعجِبُني انجِيابُه
مِن ساقِطِ الأَكنافِ ذي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحابُه
مِثلِ النَعامِ مُعَلَّقــاً لَمّا دَنا قَرِداً رَبابُــــه

ويتعامل الاعشى مع مفردة الصوت ( صوبه ) من واقع سمعي بحت في لوحة الطلل المرتبطة بغرض الهجاء فيقول [٥٦] :

شاقَتكَ مِن قَتلَةَ أَطلالُها بِالشِطِّ فَالوتِرِ إِلى حاجِرِ
فَرُكنِ مِهراسٍ إِلى مــــارِدٍ فَقاعٍ مَنفوحَةَ ذي الحائِــرِ
دارٌ لَها غَيَّرَ آياتِهــــــــــا كُلُّ مُلِثٍّ صَوبُهُ زاخِـــرِ

يقف الأعشى أمام أطلال حبيبته قتله يتأملها واصفا لنا إياها وكيف غيرت معالمها الأمطار التي لشدتها وغزارتها ليسمع لها صوت .

وفي مشهد وعظي يوظف الأعشى مفردة الصوت ( منهزم ) اذ يقول [٥٧] :

رُخامٌ بَنَتهُ لَهُم حِميَــرٌ إِذا جاءَهُ ماؤهُم لَم يَــــرِم
فَأَروى الزُروعَ وَأَعنابَهــا عَلى سَعَةٍ ماؤهُم إِذ قُسِــم
فَعاشوا بِذَلِكَ في غِبطَــةٍ فَجارَ بِهِم جارِفٌ مُنهَزِم

فَطارَ القُيولُ وَقَيلانهـــــا بِيَهماءَ فيها سَرابٌ يَطِـــــم
فَطاروا سِراعاً وَما يَقدِرو نَ مِنهُ لِشُربِ صَبِيٍّ فَطِـــــم

يصور في هذا المشهد التاريخي انهيار سد مأرب وهو اقدم سد ركامي في تاريخ الانسانية ويذكر كيف حفظ الماء حمير ، وكيف روى الزروع والاعناب ، فعاشوا في نعيم وسعادة حتى فاجئهم سيل ( جارف منهزم ) فشتت جمعهم وفرق شملهم .

وفي قصيدةٍ له يبدع الاعشى في توظيف مفردة الصوت اذ يقول [٥٨] :

عَلقَمَ لا لَستَ إِلى عامِـــرٍ الناقِضِ الأَوتارَ وَالواتِرِ
وَاللابِسِ الخَيلَ بِخَيـــلٍ إِذا ثارَ غُبارُ الكَبَّةِ الثائِـــرِ
..... ..... .. ... .....
ما يُجعَلُ الجُدُّ الظَنونُ الَّذي جُنِّبَ صَوبَ اللَجِبِ الزاخِرِ
مِثلَ الفُراتِيِّ إِذا ما طَمـــا يَقذِفُ بِالبوصِيِّ وَالماهِـــــرِ

يجعل الاعشى من ممدوحه ( نهرا لجبا فياض ) كالفرات دلالة على سمو مكانة وجزالة كرمه وفيض عطاءه ان سرعة الايقاع وخفته عبرت عن فرحة ورغبة الشاعر في ان يجعل من قصيدته قصيدة يتغنى بها اعلاءً لشأن ممدوحة ، وتمجيدا له امام عدوه .

ويتحفنا الاعشى بابيات وظفها في لوحة الرحلة يختتمها بنقل صورة بصرية صوتية يسجل فيها صوت الرعد قائلا [٥٩] :

وَلَقَد أَقطَعُ الخَليلَ إِذا لَم أَرجُ وَصلاً إِنَّ الإِخاءَ الصَداقُ
بِكُمَيتٍ عَرفاءَ مُجمَرَةِ الخُف ت غَذَتها عَوانَةٌ وَفِتاقُ
..... ..... ..... .....
وَكَأَنَّ القُتودَ وَالعِجلَةَ وَال وَفرَ لَمّا تَلاحَقَ السُـــوّاقُ
أَو فَريدٍ طاوٍ تَضَيَّفَ أَرطـــا ةً يَبيتُ في دَفِّها وَيُضاقُ
أَخرَجَتهُ قَهباءُ مُسبِلَةُ الـــوَد قِ رَجوسٌ قُدّامُها فُـــرّاقُ

يشبه الاعشى ناقته بثور وحش أهزله الجوع ، فاندس تحت شجرة من اشجار( الارطي ) يبيت في جانبها على ضيق المكان ارعبته سحابة مظلمة حمراء غزيرة المطر ( تقصف رعودها ) وينهل مقدمها بالماء .

هكذا برع الاعشى في توظيف لوحة المطر وبجزئياتها الرئيسة ( السحاب ، الرعد ، المطر ) في لوحة الرحلة .

**الخاتمة**

مما تقدم في البحث ( الصوت ودلالته الموضوعية في شعر الأعشى ) يتولد لدينا انطباع حول استعمالات الأعشى للصوت في النصوص الشعرية المذكورة آنفا ، لأنه أبدع في هذه المجال إبداعا قل نظيره وقد يكون ضعف البصر أو العمى الليلي هو الذي دفعه إلى التركيز على الصوت بهذه الكثافة والتقاط الأصوات بهذه الدقة المتناهية وتصويرها بهذه الصور الرائعة فالأعشى هو أكثر شاعر جاهلي وصف الصوت وصفاً دقيقاً وصوره تصويرًا فنياً رائعاً .

وقد تكون الحياة الشفافة الناعمة التي لامسها بعض الشيء نتيجة لتطوافه وترحاله في البيئات المترفة كالحيرة مثلا هي التي أسهمت في رفع ذائقته الشعرية ذات المستوى العالي في اختيار الألفاظ الشعرية المنسجمة مع النص الشعري وهذا ما أكده الجرجاني قديما إذ يرى : إن الشعر يختلف باختلاف الطباع والعصور والأمكنة هذا شيء لا شك فيه فمن اعتاد أن يعيش في بيئة مترفة ناعمة تكن ألفاظه رقيقة لا اثر للخشونة أو الغرابة فيها ، ومن اجل هذا نرى أنّ سكان المدن ارق في ألفاظهم من سكان البوادي [٦١] .

وليس من المستغرب والحال هذه ان نجد استعمال الاصوات الموسيقية في شعره ، وهذه الصور الجميلة المتسلسلة التي تنحدر في الاسماع ليست الا نتيجة ومظهرا لتلك البيئة وهي تحفة فنية فيها كثير من البراعة والاعشى فنان ماهر استطاع ان يرغم السامع على ان يتفاعل معها ويطرب اليها ، فقد اوجد لنا من خلال الاصوات مجالا لفهم الصورة الشعرية المجسدة او الممثلة تمثيلا فنيا رائعا .

ومما اظهره البحث ان المعاني العامة والأفكار قد يتناولها أكثر من شاعر والإختلاف يكمن في الأسلوب والصياغة وهذا ما اكده الجاحظ بقوله [٦٢] : ( والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ) ، وهذا ما لمسناه من خلال تقليبنا لدواوين الشعراء واستقراء وظيفة الصوت في شعرهم الا ان اللافت انه يعكس مدى نجاح الشاعر في المزاوجة بين التقليد والتجديد فشاعرنا الاعشى يعد من المبدعين الذين ساروا على هذا السمت فجاء بالجديد المضاف في توظيف الصوت في مواضع عدة زيادة على تقليده لشعراء سبقوه .

**الهوامش و المصادر**

١- طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحي ،( ت ٢٣١هـ ) / ( د. ط ) / مطبعة المدني المؤسسة السعودية ١٩٧٤م . ص ٦٥ .

٢- ألاغاني / أبو فرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ ) / تحقيق : د. احسان عباس ، د.ابراهيم السعافين ، أ. بكر عباس / ط ١ / دار صادر / ٢٠٠٢م / ٩ / ٨٠ .

٣- لسان العرب / العلامة ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي ( ت ٧١١هـ ) /
٤- دار صادر / بيروت ( مادة عشا ) / ١٥ / ٥٦ .
٥- ينظر : المؤتلف والمختلف / العلامة ابي القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الامدي ( ت ٣٧٠هـ ) / تحقيق : عبد الستار احمد فراح / ( د . ط ) / مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه / القاهرة ١٩٦١م .
٦- جهنام : هو عمرو بن قنطن , يقال له جهنام , لم يعرف عنه سوى انه شاعر جاهلي هاجى اعشى قيس بن ثعلبة . ( ينظر : معجم الشعراء الجاهليين )
٧- الاغاني : ٩ / ٨٠ .
٨- ينظر : الشعر والشعراء / ابن قتيبة ( ت ٢٧٦هـ ) / تحقيق : احمد محمد شاكر ( د. ط ) / دار المعارف / مصر / القاهرة / ١٩٦٦م ، ١ / ٢٥٨ ، الأغاني ٩ / ٨١ .
٩- المصدر نفسه ١ / ٢٥٧ ، الاغاني ٩ / ٩٣ .
١٠- ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس / شرح وتعليق : د.محمد حسين / مكتبة الاداب بالجمايزت المطبعة النموذجية / د . ط / د . ت / ١٧٣ .
١١- ينظر : طبقات فحول الشعراء ١ / ٤١ – ٤٢ .
١٢- الاغاني ٩ / ٨٦ .
١٣- ١٢- المصدر نفسه ٩ / ٩٣ – ٩٤
١٤- طبقات فحول الشعراء ١ / ٦٥ . , الاغاني ٩ / ٨١ .
١٥- ديوانه / ٢٥ .
١٦- المصدر نفسه / ١٣ .
١٧- ينظر مقدمة الديوان / ١٤ .
١٨- المصدر نفسه / ١٣٩ .
١٩- المصدر نفسه / ٣١١ .
٢٠- ١٩- المصدر نفسه / ٣٥٧ ، الاغن الذي يخرج صوته من خياشمه . ينظر : لسان العرب : مادة ( غنن ) ١٣ / ٣١٥ .
٢١- المصدر نفسه / ٢٠٩ . مهزاق : كثيرة الضحك ، ينظر لسان العرب : مادة ( هزق ) ١٠ .
٢٢- المصدر نفسه / ٥٥ . الوسواس والوسوسة صوت الحلي ينظر: لسان العرب : مادة ( وس ) ٦ / ٢٥٤ .
٢٣- المصدر نفسه /٣٥١ ، المتصلصل الذي تسمع صلصلته ورنينه حين تمشي ينظر : لسان العرب مادة ( صلل ) ١١ / ٣٨٢ .
٢٤- المصدر نفسه / ٣٥٣ . يجلجل يتحرك ، جلجل الشيء حركه بيده ، او هو من جلجلة الجلجل وهو الجرس الصغير ينظر : لسان العرب : مادة ( جلجل ) ١١ / ١٢٢ .
٢٥- المصدر نفسه / ٣١٥ . صدوح مغنية تصدح ، اي ترفع صوتها بالغناء ، ينظر : لسان العرب مادة ( صدح ) ٢ / ٥٠٨ .
٢٦- المصدر نفسه / ٢٤٣ . العتب العيدان المعروضة على وجه العود ، ومنها تمد الاوتار الى طرف العود ينظر: لسان العرب : مادة ( عتب ) ١ / ٥٧٦ . الزيرالدقيق من الاوتار واحدها صوتا ينظر: لسان العرب مادة ( زور ) ٤ / ٣٣٨ ، الابح : الخشن الصوت . ينظر : لسان العرب : مادة ( بحح ) ٢ / ٤٠٦

٢٧- المصدر نفسه / ٣٠٥ – ٣٥٩ . غض الصوت خفظه . ينظر : لسان العرب مادة ( غضض ) ٢ / ١٩٧ .

٢٨- المصدر نفسه / ٥٩ .

٢٩- المصدر نفسه / ١٧٣ . اقصاب جمع قاصب وهو الزامر في القصب ، وهو غاب اجوف له ثقوب يلعب عليه الزامر باصابعه ، ينظر : لسان العرب مادة ( قصب ) ١ / ٦٧٥ – ٦٧٦ ، المزهر العود الذي يضرب به ، لسان العرب مادة ( زهر ) ٤ / ٣٣٣ .

٣٠- المصدر نفسه / ٣١٩ . تمزز الشرب تمصصه . ينظر : لسان العرب ( مزز ) ٥ / ٤١٠ . الصناجة الضاربة على الصنج الذي تعرفه العرب ، وهو الدوائر النحاسية التي تكون في اطراف الاصابع او ايضا ايطار الدف . فينبعث منها رنين عند اصطفاقها . لكن المقصود به هنا آلة موسيقية ذات اوتار كان يستعملها الفرس ينظر : لسان العرب مادة ( صلج ) ٢ / ٣١١ .

٣١- المصدر نفسه / ٣٠١ – تخمط الفحل هدر . ينظر : لسان العرب : مادة (خمط ) ٧ / ٢٩٧ . النحيم صوت يخرج من الجوف وشبه انين في الصدر يستريح اليه صاحبه ، كالذي يفعله الحمال اذا حمل حملا ثقيلا ، والمنتحم من له زفير وزحير في صدره . ينظر : لسان العرب : مادة ( نحم ) ١٢ / ٥٧٢ .

٣٢- المصدر نفسه / ٣٠١ – ٣٠٣ ، جيش لجب كثيف له جلبة وضوضاء . ينظر : لسان العرب : مادة ( لجب ) ، القعقعة , اصوات السلاح ، ينظر : لسان العرب مادة ( قعع ) ٨ / ٢٨٦ .

٣٣- المصدر نفسه / ١٩١ .ندد صوته رفعه . ينظر : لسان العرب : مادة ( ندد ) ٣ / ٤٢١ .

٣٤- المصدر نفسه / ٣١ .

٣٥- المصدر نفسه / ١٦٧ .

٣٦- المصدر نفسه / ٩٧ . الكرير شبه الحشرجة ، صوت في الصدر كصوت المختنق او المجهود ، ينظر لسان العرب مادة ( كرر ) ٥ / ١٣٦ .

٣٧- المصدر نفسه / ١٣٣ ، يثوب : يهتف مرة بعد مرة . ينظر : لسان العرب مادة ( ثوب ) ١ / ٢٤٧ .

٣٨- المصدر نفسه / ١٣١ . هل الرجل فرح وصاح . ينظر : لسان العرب : مادة ( هلل ) ١١ / ٧٠١ .

٣٩- المصدر نفسه : ٩٩ .

٤٠- المصدر نفسه / ١٤٧ . ارنت القوس صوتت فهي مرنان كثيرة الرنين . ينظر : لسان العرب مادة ( رنن ) ٣ / ١٨٧ .

٤١- ينظر / الطبيعة في الشعر الجاهلي : د.نوري حمودي القيسي / ط ٢ / ٤٣ مطبعة عالم الكتب / بيروت ١٩٨٤م / ١٠١ .

٤٢- الرحلة في القصيدة الجاهلية / د.وهب رومية / ط ٣/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٣ م . ص ٦٢

٤٣- ديوانه : ٢٢٩ .

٤٤- المصدر نفسه / ٣١٥ . الصريف صرير الانياب . ينظر : لسان العرب مادة ( صرف ) ٩ / ١٩١

٤٥- المصدر نفسه / ١٧١ .

٤٦- المصدر نفسه / ٢٤١ . صحل الصوت امتد في بحه . وقيل الصحل خشونة في الصدر وانشقاق في الصوت من غير ان يستقيم .وقيل ايضا ان يكون في صدره حشرجة . ينظر : لسان العرب مادة ( صحل ) ١١ / ٣٧٨ .

٤٧– المصدر نفسه / ١٩٥ . اجت عدت وكان لها حفيف في عدوها . ينظر : لسان العرب مادة ( اجج ) ٢ / ٢٠٦ .

٤٨– المصدر نفسه / والصفحة نفسها . الاطيط صوت الرحل . ينظر : لسان العرب مادة ( اطط ) ٧ / ٢٥٦ . النسع السير الذي يشد به الرجل الى بطن الناقة . ينظر : لسان العرب مادة ( نسع ) ٨ / ٣٥٢ .

٤٩– المصدر نفسه / ١٠٣ . الضوع طائر من طيور الليل اسود . ينظر : لسان العرب مادة ( ضوع ) ٨ / ٢٢٩ ، النئيم : الصوت الضعيف الخفي ايا كان . ينظر : لسان العرب مادة ( نئم ) ١٢ / ٥٦٧ .

٥٠– المصدر نفسه / ٧٣ .

٥١– المصدر نفسه / ٢٥٣ . الشحيج نعيق الغراب . ينظر : لسان العرب مادة ( شحج ) ٢ / ٣٠٤ .

٥٢– المصدر نفسه / ٦٩ . الصياح صوت كل شيء اذا اشتد ويكون ذلك في الناس وغيرهم . ينظر : لسان العرب مادة ( صيح ) ٢ / ٥٢١ .

٥٣– المصدر نفسه / ٣٧ . عزفت الجن صوتت في المفاوز . ينظر : لسان العرب مادة ( عزف ) ٩ / ٢٤٤ .

٥٤– المصدر نفسه / ٥٩ .

٥٥– المصدر نفسه / ٢٨٩ . الزجل الصوت الحاد المرتفع . ينظر : لسان العرب مادة ( زجل ) ١١ / ١٢٢ .

٥٦– المصدر نفسه / ١٣٩ . الصوب السحاب ذو الصوت . ينظر : لسان العرب مادة ( صوب ) ١ / ٥٣٤ .

٥٧– المصدر نفسه / ٤٣ . منهزم له صوت من قولهم انهزم البناء وانهزمت العصا واهتزمت السحابة بالماء اي تشققت مع صوت ، ينظر : لسان العرب مادة ( هزم ) ١٢ / ٦٠٩ .

٥٨–

٥٩– المصدر نفسه / ١٤١ .

٦٠– المصدر نفسه / ٢١١ – ٢١٢ . رجست السماء رعدت رعدا شديد الصوت . ينظر : لسان العرب مادة ( رجس ) ٦ / ٩٥ .

٦١– الوساطة بين المتنبي وخصومه / للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . / تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم . وعلي محمد البجاوي . ط ٢ دار احياء الكتب العربية ١٩٥١م ، ١٧ ــ ١٨ .

٦٢– الحيوان / لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . (ت ٢٥٥هـ ) ./ تحقيق عبد السلام محمد هارون . د . ط دار الجيل – بيروت ، ٣ / ١٣١ .